أدب التخاطب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

رقم الإيداع
٩٩/١٠٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وبعد :

فهذه رسالة موجزةٌ مختصرةٌ في أدب التخاطب والحديث مع الناس ، استللتها من بين ثنايا كتابي فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين ـ الذي يصدر تباعًا في أجزاء ـ وقمت بتنقيحها وترتيبها وإلحاق بعض الإضافات بها وذلك لما رأيت من احتياج المسلمين إلى هذا الأدب ، ونعم الأدب أدبٌ يستقى ويستخلص من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ثم من أقوال سلفنا الصالح وبالدرجة الأولى أصحاب نبينا ﷺ ورضي الله عنهم فكتاب ربنا يهدي للتي هي أقوم ، ويهدي إلى الرشد ، ويهدي إلى طريق مستقيم وأيضا فهو أحسن الحديث ، وهدي نبينا ﷺ خير هديٍ وأتمه وأكمله ونبينا ﷺ قد أُوتى جوامع الكلم [1] صلوات الله وسلامه عليه ، أما أصحابه رضي الله عنهم فهم خير القرون ، وخير أمة أخرجت للناس فمن ثمّ كان خير أدب على الإطلاق أدب أُخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن سيرة الصحابة الكرام الذين تخلقوا بأخلاق القرآن وتعلموا من النبي عليه الصلاة والسلام فمن ثمَّ عمدت إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وطرق التخاطب التي سلكها

(١) صحيح وسيأتي إن شاء الله .

أصحابُ رسول الله ﷺ ، أَستخلِصُ من ذلك كله طريقةً أسأل الله أن يجعلها طريقةً حسنة للتخاطب مع الناس والحديث معهم سائلا الله عز وجل أن ينفعني بها وإخواني المسلمين وسائلا إياه سبحانه أن يجعل هذا عملاً خالصًا متقبلاً .

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

قلةُ الحديث والإعراض عن اللغو

فمن صفات أهل الإيمان الإعراضُ عن اللغو .

قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون ١ ـ ٣] .

وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣].

والثرثارون ـ وهم كثيروا الكلام ـ من أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ قال ﷺ : « **إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون** » قالوا يا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ قال : «**المتكبرون** »[1].

قال الترمذي رحمه الله : والثرثار هو كثير الكلام ،والمتشدق هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم .

وقد كره الله سبحانه وتعالى لنا قيل وقال ، قال النبي ﷺ : « **إن الله**

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .
قلت : (مصطفى) وله شواهد يُحسَّن بها ، انظر مسند الإمام أحمد (٤ / ١٩٣ ـ ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »[١] .

وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ : «**وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم** »[٢].

وفي قول النبي ﷺ : **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** »[٣] .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم** »[٤] .

* * *

(١) أخرج البخاري (٧٢٩٢) ومسلم (حديث ٥٩٣ صـ ١٣٤١) من حديث المغيرة ابن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب (. . كان النبي ﷺ ينهي عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .

(٢) صحيح لشواهده ، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤ / ٢٨٦) المستدرك .

(٣) البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ثم إن الكلمات تُسطَّر وتكتب على العبد ويراها في صحائفه يوم القيامة

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨]

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الإنفطار : ١٠ ـ ١٢] .

وقال سبحانه : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة : ٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف : ٤٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر : ٥٢ ـ ٥٣] .

وكثرة الكلام تسبب مللاً للناس فيعرضون عنك ولا يشتهون حديثك أخرج البخارى ومسلم [١] من طريق أبي وائل قال : « كان عبد الله [٢] يُذكِّر الناس في كل خميس فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا

---

(١) البخاري (حديث ٧٠) ومسلم (حديث ٢٨٢١) .

(٢) عبد الله هو ابن مسعود .

كل يوم ، قال أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملَّكُم ، وإني أتخولَّكم[١] بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا » .

ولذلك استحب للخطيب يوم الجمعة أن يُقصِّر الخطبة ، قال النبي ﷺ: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة على فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحراً**»[٢] . وكان عليه الصلاة والسلام : « **يُحدّث حديثًا لو عدَّه العاد لأحصاه** »[٣] .

وقد حثنا ربنا على الاقتصار على الخير من الكلام وترك ما سوى ذلك .

قال تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : ١١٤].

وإلى ذلك أرشدنا نبينا عليه الصلاة والسلام :

قال عليه الصلاة والسلام : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »[٤] .

---

(١) التخوَّل هو التعاهد ، والمعنى : كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل ، قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله .

وقال أيضًا : ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل خشية الملال ، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين ، إما كل يوم مع عدم التكليف ، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط ، وإما يومًا في الجمعة ، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعا ، وقد انتقد على مسلم لكن له شواهد .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٧) ومسلم (٢٤٩٣) .

(٤) البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (حديث ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وحثنا نبينا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا :

فقال عليه الصلاة والسلام : « **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من صمت نجا** »[٢] .

* فالاختصار والإيجاز في الحديث مطلوب .

وهذا من الفقه ، فقلل الكلام قدر الاستطاعة ما دام الكلام مفهومًا وركز على المفيد من الكلام والنافع منه ، فمن مناقب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أوتى جوامع الكلم[٣] .

وقد أنعم الله سبحانه وتعالى علي نبيه داود بأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب.

قال تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [ص : ٢٠] .

ولما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ قالوا له يا رسول الله : «إنا نأتيك من شقة بعيده ، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضر وإنا لا

---

(١) البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) حسن ، أخرجه عبد بن حميد (المنتخب بتحقيقي ٣٤٥) وأحمد (٣ / ١٥٨ ، ١٧٧).

(٣) أخرج البخاري (حديث ٢٩٧٧) ومسلم (صـ ٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بعثت بجوامع الكلم . . وفي لفظ للبخاري (٦٩٩٨): أعطيت مفاتيح الكلم .

وفي لفظ لمسلم (حديث (٥٢٣) : فضلّت على الأنبياء بستٍ : أعطيت جوامع الكلم . .

وفي لفظ آخر لمسلم (صـ ٣٧٢) : وأوتيت جوامع الكلم .

نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، فمرنا بأمرٍ فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة . الحديث[١] .

فقد طلبوا بإيجاز ما يدخلون به الجنة .

فهل يليق بك بعد هذه النصوص كلها أن تكون ثرثارًا ؟!!

هل ترضى أن تملأ صحائفك يوم القيامة بالقيل والقال واللغو ،وأن تسوَّد صحائفك باغتياب المؤمنين والمؤمنات والطعن في أعراضهم .

إن كثرة الكلام مدعاةٌ لطول الحساب !

وكثرته مذهبة للهيبة والبهاء !

وكثرته مذهبة للرزانة والوقار !

وكثرته مدعاةٌ لكثرة الأخطاء !

وكثير الكلام لا يكاد الناس يستمعون إليه فكثرة الكلام يُنسي بعضها بعضا .

ولذلك كانت كلمات رسول الله ﷺ يسيرة وقليلة ، كان عليه الصلاة والسلام يتكلم كلامًا لو عدَّه العاد لأحصاه [٢].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد ﷺ ذي الخلق العظيم الذي بعث متممًا لمكارم الأخلاق .

---

(١) البخاري (حديث ٥٣) ومسلم (صـ ٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن وفد عبد القيس لما قدموا . . . الحديث .

(٢) صحيح ، وقد تقدم .

* وقلل من المسائل قدر الاستطاعة ، إلا ما لابد منه .

فقد قال النبي ﷺ : « **إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال** » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم** »[1].

وقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠١] .

تأكيد الإمساك
عن الكلام إذا لم يكن في الكلام فائدة

ويتأكد الإمساك عن الكلام ويُمنع الخوض فيه إذا لم يكن في الكلام فائدة فها هي مريم تقول للملك : ﴿ **أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** ﴾ [مريم: ٢٠] .

فيجيبها الملك بقوله : ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ [مريم : ٢١] .

حقًا إنه أمر قد قضي وقدره الله سبحانه وتعالى فلا معنى حينئذ للإكثار من المراجعات !

ونحوه قول الخليل إبراهيم عليه السلام لما أُخبر أن الملائكة متجهون إلى تدمير قرى قوم لوط يجادل عليه الصلاة والسلام في شأن قوم لوط فتجيبه الملائكة بقولهم : ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ**

(١) مسلم (حديث ١٣٣٧) .

﴿ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود : ٧٦] .

فما دام قد جاء أمر الله ، وما دام قد قضى الله هذا الأمر فلمَ الجدل في شأن هؤلاء الأقوام ؟ ! .

وها هي مريم عليها السلام لما حملت بعيسى عليه السلام يأمرها ربها فيقول لها: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم ٢٦] .

لم لا تكلِّم إنسيًّا ؟ !

إن البشر يستنكرون حملها !! يستنكرون وضعها !! يستنكرون مجيئها بالطفل!! إنها مهما اعتذرت ومهما قدمت من مبررات فلن تقبل هذه المبررات ! فمن ثمَّ فلا فائدة في الكلام ولا فائدة في الاعتذار ! ولا جدوى من وراء إيراد المبررات !!

فحينئذ الصمت أولى ، والصمت أجدى والصمت أليق ! ولله في ذلك حِكم أُخر ، منها أن معجزة ما ستحدث ،وقد حدثت ، تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد ! .

والفتية أصحاب الكهف تنازعوا شيئًا ما في تحديد المدة التي لبثوها ثم أعرضوا عن الجدل إذ لا فائدة فيه .

قال تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ... ﴾ [الكهف : ١٩] .

حقًا فربكم أعلم بما لبثتم ، وما الفائدة من وراء السؤال ؟!

وأيضًا لما اختلف القوم من بعدهم في عددهم أمر الله بالإعراض عن

الخوض في أمرهم بغير علم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٢] .

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لما قال لها رسول الله ﷺ : «**فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله عز وجل ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**» .

فبم تجيب عائشة رضي الله تعالى عنها ؟!

إنها إن أظهرت براءتها لم يصدقوها ، وإن تقوَّلت على نفسها صدقوها! فماذا عساها أن تقول حينئذ إنها قالت : « **إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة ، والله يعلم أني بريئة لا تصدقونني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني ، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾** »[1] [يوسف : ١٨] .

فعلى ذلك لا تتكلم إذا لم يكن للكلام فائدة .

*** وكذلك إذا كان القول بلا علم فامتنع :**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) .

وقال تعالى : ﴿ **فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾ [النور : ١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

وليس من العيب أن تعتذر عن الجواب إن كنت لا تعلم .

فقد قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو** » .

ولما سأل جبريلُ رسول الله ﷺ عن الساعة ، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** »[١] .

*** ولا تكثر من الجدل والخلاف**

فالتلاحى سبب لرفع الخير ، فقد رفع العلم بليلة القدر لما تلاحى رجلان من أصحاب النبي ﷺ ففي الصحيح[٢] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ليخبر الناس بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين قال النبي ﷺ : « **خرجت لأخبركم فتلاحى فلان وفلان**

(١) مسلم (حديث ٨) من حديث عمر رضي الله عنه .
(٢) البخاري (حديث ٦٠٤٨) .

وإنها رفعت ، وعسى أن يكون خيرًا فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة».

وفي رواية لمسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **يا أيها الناس إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر ، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقَّان معهما الشيطان فنسِّيتها** . . . . الحديث » .

وقد حرمنا وصية رسول الله ﷺ بسبب الخلاف الذي دار بين بعض الصحابة رضي الله عنهم وعفا عنهم .

ففي الصحيحين[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي ﷺ هلمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا » فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قرِّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده ،وفيهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : « **قوموا** » قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : « إن الرزية كلَّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم» .

*** والجدال بالتي هي أحسن لتقرير الحق محمود .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**

---

(١) مسلم (صـ ٨٢٧) .

(٢) البخاري (حديث ١١٤) ومسلم (صـ ١٢٥٩) .

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

وقال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام : ﴿ **يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾ [هود: ٣٢]

*** لكن إذا وصل الجدال إلى حد المراء فاتركه .**

قال النبي ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا**»(١) .

ولما ذهب رسول الله ﷺ إلى على وفاطمة يوقظهما لصلاة الليل قال له على: « إن أنفسنا بيد الله » .

انصرف رسول الله ﷺ وهو يضرب بيده على فخذه قائلاً : ﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ [الكهف : ٥٤] .

وكذلك لما جاء المشركون يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر لم يستطرد معهم رسول الله ﷺ في الحديث ونزل قوله تعالى : ﴿ **ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾(٢) [القمر: ٤٨ ـ ٤٩] .

فلا تفتح بابًا للجدل ولا تسمح بمجادلة في هذا المقام ، فالله سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .

---

(١) أبو داود (حديث، ٤٨٠٠) بإسناد حسن لشواهده .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٢٦٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت : ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٨ ـ ٤٩] .

وأكثر في حديثك مع
الناس من ذكر الله ومن التذكير به

فالذاكرون يذكرهم الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة :١٥٢] ، وفي الحديث القدسي : « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإٍ خير منهم** »(١) .

﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾

[الأحزاب: ٣٥]

وذكر الله يطمئن القلوب ويرطب الألسن ، ويقوي الأبدان .

قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال النبي ﷺ : « **لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل** » .

وقد أرشد النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها إلى ما هو خير لها من خادم فقال لما جاءت تسأله خادمًا : « **ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين الله ثلاثًا وثلاثين ،وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين ، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك** »(٢) .

وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٣ / ٣٨٤) ،ومسلم (مع النووي ١٧ / ٢) .
(٢) البخاري ( ) ومسلم (صـ ٢٠٩٢) .

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود :٥٢]

وبذكر الله تُستجلب الأرزاق وتدفع المصائب .

فالاستغفار من ذكر الله ،و قد قال الله فيه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح : ١٠ ـ ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال :٣٣]

وقال سبحانه :﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[النساء:١٤٧]

وبذكر الله ترفع الدرجات وتحط الخطيئات وتغفر الذنوب والزلات .

وبذكر الله يخنس الشيطان ويهدأ الغضبان .

فعليك بذكر الله والإكثار منه وتذكير الناس بالله سبحانه عند بيعك وشرائك وأخذك وعطائك ودخولك وخروجك وذهابك وإيابك ومجلسك وقيامك وعقودك وسائر معاملاتك ، فذكر الله يرضي الله عنك ويجلب محبته لك ومن ثمَّ يحبب فيك الخلق فإذا أحب الله عبدًا دعا جبريل فقال : « **إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول في الأرض** »(١).

وأيضًا قد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم : ٩٦] أي محبة في قلوب العباد .

---

(١) البخاري (٦٠٤٠) ومسلم (٦٣٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه مرفوعًا والترمذي كذلك .

ثم إن التذكير بالله ينفع أهل الإيمان في تعاملهم معك فالذكرى تنفع المؤمنين فإذا فكر أحدهم في غشك أو خداعك وذكرته بالله تذكر ، قال تعالى : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

ألا ترى إلى قول موسى صلى الله عليه وآله وسلم لما تعاقد مع العبد الصالح على أن يكون أجيراً عنده قال له : ﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ [القصص :٢٨].

ألا ترى إلى تلك المرأة التي ألجأتها الحاجة إلى أن تمكن ابن عمها من نفسها ثم استدركت وذكرته بقولها : « **اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه** »(١) فقام عنها .

ألا تستمع إلى قول رسولنا الكريم محمد ﷺ ، وهو يذكِّر بالله : ﴿**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** ﴾ [سبأ:٢٦] .

ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦٥) ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه » . . . فذكر الحديث وفيه فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت : « **اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه**» فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا ففرَّج الله عنهم فخرجوا .

ثم ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤] .

واقرأ قول موسى للخضر عليهما السلام : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠]

وانظر إلى قول نبينا محمد ﷺ وهو يذكِّر أبا بكر بقوله : « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »(١).

وانظر إلى مقولة أبي بكر لعمر لما جاءه وفي نفسه شيء من أمر الصلح يوم الحديبية قال أبو بكر : « إنه رسول الله وليس يعصي ربَّه وهو ناصره »(٢).

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٣) في حديث الإفك من حديث عائشة رضي الله عنها بعد أن تشهدَّ : « **أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . . .** » .

---

(١) البخاري حديث (٣٦٥٢) ومسلم (٩ . ٢) .

(٢) البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(٣) البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (حديث ٢٧٧٠) .